

البيئة من منظور إسلامي: بحث في الأخلاقيات وآليات الحماية.

The environment from an Islamic perspective: research into ethics and protection mechanisms.

أمين بلفاضل^{1*}، لخضر سباعي²¹ جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم. مخبر الفلسفة والعلوم الإنسانية (الجزائر)، amin.belfadel@univ-mosta.dz² جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (الجزائر)، lakhdar.sebai@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2024/11/11 تاريخ القبول: 2024/12/14 تاريخ النشر: 2025/03/04

ملخص:

هذا المقال يرصد قضية من أهم القضايا التي تهم العالم بأسره وهي البيئة؛ إذ يُلقى شعاعاً من ضوء على التصور الإسلامي للبيئة من خلال بيان أهم التعاليم والرؤى النظرية، والإجراءات الميدانية والتطبيقات العملية التي تُسهم في خلق بيئة نظيفة وسليمة من التلوث، وقادرة على حماية التوازن الطبيعي بين عناصرها ومُلائمة لتحقيق التنمية المستدامة. ويهدف إلى بيان أهم الدراسات والآليات التي قدمها الفكر الإسلامي منذ القديم لحماية البيئة والوقوف على أهم الآداب والضوابط الأخلاقية التي قدمها هذا الفكر من أجل تنظيم علاقة الإنسان بالبيئة وعناصرها، والسعي إلى تقديم حل لجميع المشكلات التي تطرحها. وتوصل هذا المقال إلى التأكيد على دور هذه الأخلاقيات وعلى قيمة التصور الإسلامي. الكلمات المفتاحية: البيئة، التصور الإسلامي، الأخلاقيات، الآليات، الحماية.

Abstract:

This article monitors one of the most important issues that concerns the entire world, which is the environment. It sheds a ray of light on the Islamic perception of the environment by stating the most important theoretical teachings and visions, field procedures and practical applications that contribute to creating a clean environment free of pollution, capable of protecting the natural balance between its elements and suitable for achieving sustainable development

It aims to explain the most important studies and mechanisms that Islamic thought has provided since ancient times to protect the environment, and to identify the most important morals and ethical controls that this thought has presented in order to regulate man's relationship with the environment and its elements, and to seek a clear solution to all the problems it poses. This article concluded by emphasizing the role of these ethics and the value of the Islamic conception

Keywords: Environment Islamic perception, ethics, mechanisms, protection.

مقدمة:

إن من اليقين الثابت أن الإنسان كائن طبيعي تربطه علاقة وثيقة بالطبيعة أو البيئة تأثيراً وتأثراً؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى سخر له الأرض وما فيها يستغل خيراتها وثمراتها حتى يعبده ويشكره على ذلك، بحكم سموه على الكائنات الأخرى الموجودة في الطبيعة. لكن هذا التفضيل قد يتحول إلى نقمة بفعل التدمير الذي قد يطال البيئة جراء الثورة التقنية ومعضلات الحضارة التي منحت هذا الكائن التقنيات الحديثة التي وظفها في تعامله مع البيئة، حيث تغيرت العلاقة بين الإنسان والطبيعة، من مجرد كائن يعيش فيها، ويستملك ثرواتها وخيراتها، إلى الاستغلال المفرط مما أدى إلى بروز العديد من المشاكل، على غرار التلوث، الاحتباس الحراري، النفايات المختلفة وغيرها من المشاكل، وهذه المشاكل لا يمكن حلها و تجاوزها إلا من خلال اتخاذ جملة من الأخلاقيات الخاصة بالبيئة، والتي تتعلق أساساً بإعادة بعث سؤال الأخلاق في هذا المجال، واستحضار الفلسفة ببعدها الأخلاقي والاجتهاد في حماية المحيط والمحافظة على الطبيعة.

والجدير بالذكر، إن موضوع البيئة ومشكلاتها المختلفة من الموضوعات الهامة والمركزية في الوجود الإنساني عموماً، وفي عصرنا الراهن خصوصاً، تتجه الأنظار إلى الاهتمام بها ومعالجة مشاكلها، وقد احتلت مكانة هامة في العلم والفلسفة معاً، حيث يتنامى في العقود الأخيرة الاهتمام بالبيئة وعلاقة الإنسان بها تأثيراً وتأثراً؛ بشكل ملفت للنظر، حيث أصبحت البيئة اليوم تحظى بتحليلات متعددة شملت تخصصات معرفية مختلفة تضم الفلسفة والدين والدراسات الثقافية والإنسانية، ويعود هذا الاهتمام إلى إنجازات الحداثة العلمية والطبية، والطفرات العلمية الفائقة المتسارعة التي تتحقق بصورة كبيرة خاصة في مجال العلوم التكنولوجية إذ لم تفارق ألسنة المختصين في كل الأزمنة، ذلك أن فلاسفة اليونان أول ما اهتموا به بحثاً هو الطبيعة والكون، فعلى الرغم من اختلافهم وتباينهم في تقديم تفسيرات، إلا أنهم اتفقوا في قيمة ما بحثوا فيه للكشف عن كنهه، وعن علاقة الإنسان به، وليس هذا من باب الصدفة، بل إن وظيفة الفيلسوف هي الانشغال بالمشهد الطبيعي والبيئي.

إن التفكير في البيئة ومشاكلها اليوم في مختلف الدراسات عموماً وفي الفلسفة على وجه التحديد من خلال فرعها الفلسفة التطبيقية لا يعني أن البيئة لم تحظ باهتمام الفلسفة فيما سبق، فيمكننا أن نقف في تاريخ الفلسفة على العديد من الفلسفات اهتمت بها والفلسفة الإسلامية بوجه خاص، حيث تم التعاطي مع البيئة تعاطياً فعالاً وإيجابياً، من خلال الاهتمام المتزايد بها من الناحية الدينية والعلمية، ذلك أن الدين الإسلامي يتميز بالشمولية والكونية هو ما جعله يستوعب قضايا البيئة بشكل جلي، ولا يخفى على كل ناظر حصيف للنصوص الشرعية أن يقف على أعظم مقاصدها المتمثلة في المحافظة على البيئة بكل مكوناتها. إن ما نود الإشارة إليه في هذا السياق، هو أن التصور الإسلامي أظهر منذ قرون طويلة اهتماماً خاصاً بقضية البيئة والحفاظ عليها، لم يقتصر على التعاليم والرؤى النظرية فحسب، بل اشتمل أيضاً على إجراءات ميدانية وتطبيقات عملية، تتوازي وتتكامل مع ما يقره العالم حالياً وببذل

الجهود لتحقيقه، أي إيجاد بيئة نظيفة وسليمة من التلوث وقادرة على حماية التوازن الطبيعي بين عناصرها وملائمة لتحقيق التنمية المستدامة..

وبناء عليه، تأتي هذه الورقة البحثية لتسلط الضوء على التصور الإسلامي لمشكلة البيئة من خلال الكشف عن أهم الدراسات والآليات التي قدمها الفكر الإسلامي منذ القديم لحماية البيئة والوقوف على أهم المبادئ والقيم والقواعد العامة التي قدمها هذا الفكر كضوابط للسلوك البشري عند تعامله مع البيئة بمختلف مكوناتها. وتهدف هذه الورقة إلى بيان إسهام هذا الفكر ضمن مجال البيئة ببيان أهم القواعد الأخلاقية التي تنظم علاقة الإنسان بالبيئة وعناصرها من أجل تقديم حل لجميع المشكلات التي تطرحها، كما هي محاولة لاستجلاء مكامن الإبداع والقوة في هذا الفكر العالمي، وبيان منزلته من الاهتمام بقضايا كونية تخص الإنسان وحتى تتجاوز تلك النظرة الإقصائية التي لا تزال تلاحقه، كما تهدف إلى بيان المواقف الأخلاقية تجاه البيئة، والإفادة من الفكر الإسلامي الذي يتضمن إرشادات أخلاقية لحمايتها. ولأجل تحقيق هذه الأهداف، ارتأينا أن تكون الإشكالية الرئيسية لهذه الورقة كالتالي: ما موقف الإسلام كدين من البيئة وقضاياها؟ وما هي الآداب الإسلامية في التعامل مع البيئة؟ وتنشطر إلى جملة من الأسئلة الفرعية التي من شأنها تقربنا من مقاربة الموضوع نحدددها في الآتي:

ما مفهوم البيئة؟ وما ماهية البيئة من المنظور الإسلامي؟

ما المقصود بأخلاقيات البيئة؟

ما آليات الحفاظ على البيئة من منظور إسلامي؟

كيف نجعل الإنسان ملتزم أخلاقياً تجاه البيئة؟ وإلى أي مدى يمكن الحديث عن تصور إسلامي خلاق للبيئة يمكن الأخذ به؟.

□- إطار مفاهيمي:

1-1 مفهوم وتعريف البيئة:

1-1-1 اللغة:

إن استقراء المعاجم العربية والقواميس المختصة يكشف لنا عن الأصل اللغوي لكلمة البيئة والذي يعود إلى الجذر بؤأ، ومنه تبوأ، أي حل ونزل وأقام، والاسم منه: البيئة بمعنى المنزل¹، ووردت في لسان العرب بمعنى نزل وأقام في مكان، أي الذي يعيش فيه الإنسان². ونقرأ في المعجم الوسيط: «البيئة المنزل، والحال، ويقال: بيئة طبيعية، وبيئة اجتماعية، وبيئة سياسية»³.

¹ - أبو القاسم إسماعيل بن عباد صاحب (1994)، المحيط في اللغة، ج10، ط1، عالم الكتب، بيروت، ص444

² - ابن منظور (1997)، لسان العرب، ج3، دار النشر، بيروت، لبنان، ط1، ص267.

³ - المعجم الوسيط (1976)، الجزء1، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ص74.

البيئة في القرآن الكريم: وردت كلمة البيئة في سور كثيرة على غرار ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَنَوَّامِكُمْ فِي الْأَرْضِ تَنْحُوتُونَ مِنَ سُهولِهَا فُصُورًا وَتَنْحُوتُونَ الْجِبَالَ لِيُوتَاكُمْ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف/74]، فالبيئة في هذه الآية الكريمة جاءت بمعنى على السكن والمنزل، وهو المعنى الذي تحدد في اللغة، وفي قوله تعالى أيضا: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صَدَقِي وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس/93]، أي بمعنى أنزلنا وأسكننا. وبناء عليه، يتضح أن مفهوم البيئة في القرآن جد واسع وشامل يضم كل من الأرض والجبال والسماء، وما في الكون من مخلوقات بما فيها الحيوانات والإنسان على السواء. وهي تعبير حقيقي عن ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الإنسان والبيئة. وجاء في المعجم الفلسفي لجميل صليبا: «البيئة هي المنزل والحالة، وتطلق في الاصطلاح على مجموع الأشياء والظواهر المحيطة بالفرد، والمؤثرة فيه. وتطلق البيئة بهذا المعنى على الزمان والمكان من جهة ما هما إطاران محيطان بالظواهر الطبيعية».⁴ أما في موسوعة لالاند فتعني: «محيط طبيعي، بيئة اجتماعية، وسط فكري تقال على جسم عضوي، منظورا إليه من زاوية علاقته بالعناصر الخلوية التي يعيش فيها. بهذا المعنى، تقال على جسم عضوي، منظورا إليه من زاوية علاقته بالعناصر الخلوية التي يعيش فيها، تقال كلمة وسط حتى على الزمان والمكان».⁵

ويظهر لنا من خلال هذا التحديد اللغوي، أن مدلول البيئة في السياق العربي يقترن بالمنزل، أو التهيئة والحالة، كما أنه يتطابق بشكل واضح مع تعريف علم البيئة، أي الإيكولوجيا، فهذه الأخيرة تفيد المنزل في أصلها اليوناني.

1-1-2 التعريف الاصطلاحي:

البيئة من المفاهيم القديمة قدم التفكير الإنساني والتي تنزلت ضمن أبحاث العلماء والفلاسفة اعتبارا لأهميتها ومكانتها بالنسبة إليهم، وهي من المصطلحات التي يكثر استعمالها فلا تفارق ألسن المختصين وعوام الناس، لها حمولات دلالية كثيرة لا يمكن معها الوقوف على تعريف دقيق وشامل، حيث تختلف مدلولاتها باختلاف السياقات والمجالات الطبيعية، الحيوية، الإنسانية، والاجتماعية. وتعريفها لا يقف عند حد الطبيعة الإلهية للكون فقط، بل يمتد مفهومها ليشمل المحيط الحيوي والاجتماعي والثقافي للإنسان بما هو كائن يعيش في عالم يؤثر فيه ويتفاعل معه.⁶ وعلى هذا، فإننا سنورد جملة من التعريفات التي تقرّبنا من الموضوع، من أبرزها:

هي عبارة عن نظم طبيعية واجتماعية يعيش فيها الإنسان وباقي الكائنات الحية، يأخذون منها ما يحتاجونه من زاد بغية الحفاظ على بقائهم، كما تعني المحيط والوسط الطبيعي والصناعي الذي يعيش

⁴ صليبا جميل (1982)، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 211.

⁵ -لالاند أندريه(2001)، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ص 806.

⁶ - عبد المنعم عباس رواية(2013)، رسالة من الفلسفة إلى الحياة، ط1، دار الوفاء، القاهرة، ص 200

فيه الإنسان، ويأخذ منه ما يحتاجه لنفسه من ماء وهواء وغذاء⁷. كما نجد لها تعريفاً آخر مضمونه: «البيئة هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان ويتكون من التربة والماء والهواء والبشر، أي محيط الإنسان الحيوي، ويقصد بها عادة في العلوم الاجتماعية الأنظمة المختلفة التي يعيش فيها الإنسان مثل النظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي ونظام القيم وشبكة التفاعلات في مختلف جوانب البيئة الاجتماعية، أي أهمها جزء من المحيط الاجتماعي والثقافي والمادي الموجود خارج نظام سياسي معين. فالبيئة بمفهومها العام: هي الوسط أو المجال المكاني من تربة وماء وهواء ومجتمع، والذي يعيش فيه الإنسان يتأثر به ويؤثر فيه، فهي تعني كل العناصر الطبيعية والحياتية التي تتواجد حول وعلى سطح الكرة الأرضية من الغلاف الغازي والغلاف المائي وسطح الأرض وما يعيش عليها من نبات وحيوان وبشر»⁸. كما تعني مجموعة العناصر الطبيعية أو الاصطناعية التي تحيط بالكائنات البشرية والتي تحدد إطار حياتها، وتعني أيضاً العلم الذي يهتم بدراسة العلاقات القائمة بين الإنسان والطبيعة، حيث تشكل فرعاً من علم البيئة⁹ والحاصل من هذه التعريفات، هو اشتغالها على أبعاد ومعاني واحدة، وهي البعد الأيكولوجي، الطبيعي، الاقتصادي، الاجتماعي، والإنساني، إلى جانب اشتغالها على الرباط والعلاقة الوطيدة بين البيئة والإنسان، وهي دلالة على قيمتها بالنسبة إليه، حيث يلجأ إلى استغلال ثرواتها وتحويلها إلى أشياء نافعة له ولغيره.

1-1-3 تعريف أخلاقيات البيئة:

تجدر الإشارة، في البداية إلى أن الوقوف على دلالة هذا المفهوم يقتضي منا تحديد معنى كلمة أخلاقيات أولاً، حيث لا تعني وضع المعايير الأخلاقية والتنظير لها والدفاع عنها كما فعل كانط وغيره من الفلاسفة والمفكرين، بل هو مبحث إجرائي يسعى إلى وضع الشروط الضرورية لتنظيم العلم، التي ينبغي على كل الذوات الالتزام بها أثناء تعاملها مع المسائل العلمية، أي أنها معايير إجرائية خالية من أي مضمون معياري. ومن بين الفروع الهامة لهذا المبحث، الأخلاقيات التطبيقية التي تعرف في التقليد العلمي بأنها: «مجموعة القواعد الأخلاقية العملية المجالية تسعى لتنظيم الممارسة داخل مختلف ميادين العلم والتكنولوجيا وما يرتبط بها من أنشطة اجتماعية واقتصادية ومهنية، كما تحاول أن تحل المشاكل الأخلاقية التي تطرحها تلك الميادين، لا انطلاقاً من معايير أخلاقية جاهزة ومطلقة بل اعتماداً على ما يتم التوصل إليه بواسطة التداول والتوافق وعلى المعالجة الأخلاقية للحالات الخاصة والمعقدة

⁷ - مخلف عارف صالح (2007)، الإدارة البيئية- الحماية الإدارية للبيئة، دار البارودي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص31.

⁸ - عبد الكافي إساعيل عبد الفتاح (1428هـ)، المفاهيم والمصطلحات البيئية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ص 37.

⁹ - قاضي جورج (2006)، تهديدات البيئة، ط1، منشورات عويدات، بيروت، ص46.

والمستعصية»¹⁰. ومن أبرز ميادين هذه الأخلاقيات نجد أخلاقيات البيئة، وهي من أهم فروع فلسفة البيئة، لكونها تسعى إلى تحديد العلاقة الحقة التي ينبغي أن تكون بين الإنسان والطبيعة، وذلك بوضع قواعد وضوابط للسلوك البشري في تعامله مع بيئته، أي أنها الفرع الذي يختص بدراسة الأسئلة الأخلاقية التي تفرزها العلاقات البشرية مع البيئة، مع إمكانية البحث عن السلوكيات التي ينبغي علينا السعي إليها في هذا المجال، وذلك بالتعرف على النظم البيئية وحالة العالم من أجل الحصول على نتائج جيدة حول الحدود البيئية وتأثيرات أساليب الحياة، وتنحصر مهمتها في التساؤل المتعلق بالمسائل البيئية غير البشرية، والقيمة التي تحتلها بالنسبة للإنسان، ومن بين المسائل البيئية ذات الصلة بالموضوع، حماية الأنواع المهددة بالانقراض، الإدارة المستدامة للموارد، استخدام المنتوجات المعدلة وراثياً، الاحتباس الحراري، التلوث الكيميائي، النمو الديموغرافي.¹¹ ويعرفها الفيلسوف الإنجليزي (روبن أتفلد Robin Attfield)، قائلاً: «إنها تتمثل في دراسة المسائل والمبادئ المعيارية، المتعلقة بتفاعلات الإنسان مع وسطه الطبيعي، والسياق الذي تندرج فيه، وعواقبها، وهي: فرع مهمٌ جداً من الأخلاق التطبيقية، التي يجب على الأفراد الخواص، والمؤسسات، والحكومات، ضمنياً، أن يستوحوا منها، لتحديد وتقويم المبادئ المؤثرة في سياساتهم، وأنماط حياتهم ونشاطاتهم، المتعلقة بمجمل المشاكل البيئية والإيكولوجية»¹² بمعنى ذلك الفرع من الأخلاق التطبيقية الذي يُعنى بدراسة علاقة الكائن البشري بالمحيط الطبيعي من الناحية الأخلاقية والإنسانية مراعيًا جملة المبادئ والشروط التي تسهر على حماية المحيط.

ذهب دوغلاس ماكلين Douglas Maclean في القاموس الجديد لتاريخ الأفكار إلى أن أخلاقيات البيئة قد نشأت كفرع ثانوي للفلسفة الأخلاقية بشكل عام، كان ذلك في السبعينيات، وتتمثل قيمتها في زيادة الوعي بالمشكلات البيئية المتزايدة¹³ نلاحظ أن هذا التعريف يتعلق بالتأطير الزمني فقط، ولا يتعلق بتحديد المعنى المعرفي. أما مدلولها عند تابلور يختلف تماما مع ذلك، حيث يرفض فكرة أن أخلاقيات البيئة فرع من فلسفة الأخلاق التقليدية كما ادعى ماكلين، بل إنه يعتبرها مستقلة معرفياً عنها تماما، ويوضح مدلولها بالقول: «إن أخلاقيات البيئة هي دراسة للعلاقات الأخلاقية التي تنشأ بسبب تفاعل

¹⁰ -عمر بوفتاس، الأخلاقيات التطبيقية، مساهمة في تجديد الفلسفة العربية، ضمن كتاب، رهنات الفلسفة العربية المعاصرة، تنسيق محمد المصباحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2010، ص 234.

¹¹ - بن جيلالي محمد أمين (2021)، الإتيقا: نقد المفهوم وتحولاته في العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف، العراق، ص 29-30.

¹² - Robin Attfield(2007), éthique de l'environnement et développement durable, in éthiques de l'environnement et politique internationale, France : éditions Unesco, collection éthiques, p77

¹³ -Maryanne Horowitz(2005), new dictionary of the history of ideas, thomson,gale,p 679

البشر مع العالم الطبيعي. فمهمتها هي تسليط الضوء على المبادئ الأخلاقية التي تحكم هذه العلاقات، والتي تحدد واجباتنا والتزاماتنا ومسئوليتنا تجاه البيئة، وتجاه كل الكائنات الحية التي تقطن هذه البيئة¹⁴. يكشف لنا هذا التحديد عن اتصاف أخلاقيات البيئة بالصرامة والجدة، ذلك أنها تضع في اعتبارها كل ما هو موجود في الطبيعة من كائنات حية غير بشرية، وتحمل الإنسان في المقابل كامل المسؤولية في احترامها، وهو المفهوم الذي يجعلها تمتاز عن ما تم تداوله في المقاربات التقليدية للأخلاق. وما ينبغي الإبانة عنه، هو أن هذا المبحث ليس وليد الاهتمام المعاصر، بل له جذور قديمة قدم الفكر الإنساني، حيث نعثر على هذا الاهتمام في الفلسفة اليونانية من خلال المعاملات التي كانت تحصل بين الإنسان والطبيعة والحيوانات. ويمكن تحديد التدخل الأخلاقي في البيئة من خلال الأسئلة المطروحة في هذا السياق، على غرار هل يمكن أخلة البيئة وفقا لمعايير القيمة الإنسانية؟ وعلى أي أساس يمكن إقامة أخلاق بيئية؟¹⁵ وهي أسئلة تشي بقيمة الأخلاق وتدعو إلى الحفاظ على البيئة وتجديد العلاقة بين الإنسان وبين محيطه من أجل تحقيق تنمية مستدامة.

وبالجملة، إن أخلاقيات البيئة كفرع من فروع الأخلاقيات التطبيقية هي تجسيد للتحوّل الذي حدث في الفلسفة ومفاهيمها، حيث يمكن النظر إليها على اعتبار أنها فرع جديد داخل الحقل الفلسفي يروم إنزال البحث الفلسفي من ما كان فيه من عالم المجردات والبحث في مسائل الوعي إلى حقل الفعل والممارسة الميدانية، ذلك أن الوضع الإنساني هو الذي استدعى إعادة بعث التفكير الفلسفي ليشغل الراهن البيئي على وجه الخصوص، خاصة بعد غياب الاهتمام الأخلاقي بالمحيط، بسبب المطامع الذاتية وبشع الاستغلال، لأن الإنسان المعاصر لا تهمة إلا مصالحه الذاتية، الأمر الذي يدفعه إلى الإضرار بالبيئة.

2- البيئة في الفكر الإسلامي: من الاهتمام إلى التأصيل الأخلاقي.

2-1 معالم الاهتمام بالبيئة:

إن المتتبع لتاريخ الفكر الإسلامي يقف على الحضور الكبير لمسألة البيئة والاهتمام المتزايد من قبل المسلمين عموما، حيث كانت العناية بها فائقة وبقضايها من خلال الرعاية والمحافظة عليها، وطبقوا التعاليم الإسلامية والأحكام الشرعية المتعلقة بالبيئة وبالعلاقة الإنسان بها. وعلى هذا، فليس صحيحا ما تم تداوله في الأوساط الفكرية الغربية من أن البيئة وعلمها من نتاج الفكر الغربي دون أن يكون للإسلام

¹⁴ - ipid,p 3.

¹⁵ - بن دوبة شريف الدين، الأخلاق التطبيقية في الفقه الإسلامي المعاصر: قراءة فلسفية للمذهب المالكي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد، 2018 ص 109.

نصيب فيه¹⁶. حيث أكد الإسلام من خلال نصوصه المتمثلة في القرآن والسنة النبوية الشريفة على قيمتها من خلال دعوته على الاهتمام بها ، ذلك أنه يعتبر هذا الاهتمام من قبيل الحضارة والرقى لبناء مجتمع إنساني فاضل، ونستشف هذا الاهتمام في القرآن الكريم من خلال آياته التي منها قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحاثية/12-13]. والجدير بالذكر، أنه ما من قضية مستجدة وذات شجون إلا وقد اهتم بها الإسلام وأرسى قواعدها ونظمها، ورسم أطرها، وبين مكائدها وأسباب علاجها، لذا كانت البيئة من المسائل الهامة التي جاءت تعاليم الدين الإسلامي لتحافظ عليها وتحمها جراء عبث الإنسان وإفساده المستمر واستعماله اللاعقلاني لكنوزها، فليس هناك مخلوق أساء إليها بقدر ما أساء إليها الإنسان، ولنا في القرآن الكريم ما يدل على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/30] .

2-2 أخلاقيات البيئة في الفكر الإسلامي:

إن المتتبع لتاريخ الفكر الفلسفي منذ بواكير نشأته يلحظ بما لا يدع مجالاً للشك مكانة الأخلاق بصفة عامة والأخلاقيات بصفة خاصة في كل مناحي العلم؛ ولعل أبرز ما أخذ حيزاً من التدبير الأخلاقي لدى الفلاسفة والمفكرين مسألة البيئة بقضاياها ومشاكلها، حيث أسهم هؤلاء في إخراج جملة من المبادئ والضوابط الأخلاقية التي من شأنها أن تحمي البيئة، وتعيد ترتيب العلاقة بين الإنسان وبين محيطه من أجل الاستغلال الأمثل والعقلاني الذي يراعي فيه حدوده، إلى جانب إرساء جملة من الرؤى في المجال البيئي، من شأنها ترشيد الاستغلال ، ومن بين الحضارات التي كان لها السبق في هذا المجال الحضارة الإسلامية، من خلال إسهامات مفكرها وفلاسفتها، وسنعمد في هذا العنصر إلى بيان ذلك.

لقد كان اهتمام المسلمين بالبيئة نابع من اهتمامهم بالعلم وبمناهجته؛ لذا تم تناول هذه المسألة وفق منهجية صارمة من خلال تقسيم العمل إلى قسمين، قسم يختص به رجال الفقه وأساسه معالجة مشكلات البيئة من الناحية الشرعية تطبيقاً لنصوص الشريعة ومبادئها، وقسم ثاني يختص به الفلاسفة والمفكرين، يهتمون بالتأطير النظري لهذه المشكلة والبحث عن حلول لها عقلياً، وهذا الصنف هو الذي سنسعى للتركيز عليه بحكم أن الموضوع يتعلق بالبحث الفلسفي.¹⁷ ويمكن تبعا لذلك استعراض أبرز الفلاسفة الذين كان لهم سبق كبير في هذا الاهتمام:

الكندي (ت 256هـ): يُعد الكندي من أبرز الفلاسفة في تاريخ الفكر الإسلامي، برع في العلوم على تنوعها ، اهتم بموضوع البيئة من خلال مؤلفاته على غرار « في العلة الفاعلة للمد والجزر » وهي رسالة عالج فيها

16 - سرتاوي فؤاد عبد اللطيف (1999) البيئة والبعد الإسلامي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ص13.

17 - العاطي الخضراوي إمام عبد(2020) أخلاقيات البيئة في التفكير الإسلامي، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالبحر، جامعة الأزهر، المجلد التاسع والثلاثون، ديسمبر، ص1793.

موضوع المد والجزر، وبيان أنواعه وأسبابه، كما تتضمن كيفية تكوين الآبار والعيون، وكذا أنواع المياه.¹⁸ فهذه الرسالة دلالة واضحة على الاهتمام المتزايد بالبيئة وبالظواهر التي تحدث فيها. ابن سينا: لم يكن الشيخ ابن سينا طبيباً فقط، بل كان فيلسوفاً وعالمًا مهتمًا بكل القضايا التي تخص الإنسان له عديد المؤلفات في الطب التي نستشف فيها اهتمامه بالبيئة وأحوالها، إلى جانب إشارته إلى الأخلاقيات التي ينبغي أن تراعى في مجال البيئة، حيث اشتغل بالبحث في الهواء وعلاقته بالإنسان، وتحدث عن البحر وعلاقته بالبيئة معبراً عن ذلك بقوله: «مجاورة البحر توجب ترطيب الهواء ثم إن كثرت الرياح وتسربت ولم تعارض الجبال؛ كان الهواء أسلم من العفونة، فإن كانت الرياح لا تتمكن من الهبوب كانت مستعدة للتعفن، وتعفن الأخلاط، وأوفق الرياح لهذا المعنى هي الشمالية ثم المشرقية والمغربية، وأضرها الجنوبية»¹⁹ كما تحدث بشكل واضح عن التربة والمياه، وكل ما يتعلق بالطبيعة، وهذا يثني باهتمام بالغ من قبله بأخلاقيات البيئة.

الغزالي أبو حامد: لم يُغفل حجة الإسلام في كتاباته واهتماماته موضوع البيئة وأخلاقيات التعامل معها، حيث نظر إليها بأنها كل شيء يسبح الخالق تعالى ويقدهه، ذرة كانت أو شمساً أو أرضاً، أي أنه دعوى تشي بالقيم الأخلاقية، كما أنها تعبير عن روح العدالة في التعامل مع جميع الخلائق دون استثناء.

وعليه، لقد قدم مفكرو الإسلام تصورات أخلاقية يقوم في جوهره على تقديم مجموعة من المعايير التي يجب تبنيها لتجاوز أزمات البيئة والتي يمكن الاستفادة منها في واقعنا المعاصر، لذلك يمكن القول إنها مقاربات جوهرية لها قيمتها الراهنة في فلسفة البيئة، وذلك لدورها الرائد في إثارة وتنبيه وعي معظم المشتغلين والمهتمين بالبيئة وبمشكلاتها. ولعل ما جعل هذه التصورات تحمل القيمة العالمية هو أنها مستوحاة من الدين الإسلامي أقر لكل شيء حقوقه، فلم يمنح للإنسان السلطة على حساب الكائنات الأخرى، بل حملة المسؤولية التامة في التعامل معها. أي أن المخلوقات هي أمانة الله لدى الإنسان، فلا ينبغي له أن يتعامل مع المخلوقات كما يريد هو، بل ينبغي عليه أن يدرك الاختلاف بينه وبينها وفق ما بينه القرآن لمفهوم الطبيعة، لذا فعليه أن يتصرف بطريقة أخلاقية كما بينها له الشرع.²⁰

ومن أبرز المرتكزات الأخلاقية للتعامل مع البيئة وفق المنظور الإسلامي، قيامه على مبدأ التوحيد لكونه يشكل الركيزة الأولى في التعامل معها، فالله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق وما فيه ليس عبثاً وإنما من أجل تحقيق الربوبية والعبادة، فحملَ بذلك المسؤولية الكاملة للإنسان والتي أبت الملائكة حملها

¹⁸ -الكندي أبي يوسف بن إسحاق (1953)، رسائل الكندي، ج2، تحقيق ونشر عبد الهادي أبو ريذة، دار الفكر العربي، القاهرة،

ص110.

¹⁹ -ابن سينا (1999) القانون في الطب، ج1، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص124.

²⁰ -إبراهيم أوزدمير (2008) البيئة في الإسلام، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، ص38.

لثقلها وإدراك غايتها . وعليه فإن الناظر إلى الثقافة الإسلامية يقف على الحضور الكبير للجانب الأخلاقي في مسألة البيئة، على غرار الشفقة والرقّة، فكل ذي عقل ينهى عن الإيذاء للحيوانات، ويمنع الإفساد في الطبيعة ويأمر بحسن استغلال ثرواتها.

ذهب عبد المجيد عمر النجار في ذات السياق إلى الإقرار بأن: « التصور الفلسفي والعقدي لعلاقة الإنسان بالبيئة له بالغ الأثر في تصرفه السلوكي إزاءها، ويقوم هذا التصور على معادلة دقيقة بين الإنسان والبيئة طرفاها وحدة من جهة، وتميز للإنسان من جهة أخرى، فهذه المعادلة في دقتها وحكمتها هي التي تثمر السلوك البيئي الرشيد العاصم من الأزمات، وأي انهزام فيها يؤدي خلل في التعامل البيئي كما هو حاصل اليوم»^{□□} واضح إذن البعد الأخلاقي في هذا النص، فليس للإنسان السلطة على البيئة دون مراعاة المرامي الأخلاقية، والمبادئ الإنسانية في التعامل، ذلك أن العقيدة الإسلامية أسست لمبادئ عالمية تخص البيئة لا يمكن التلاعب بها، من أبرزها الرفق بالبيئة والحفاظ عليها، وكان من نتاج ذلك بروز علاقة جد وثيقة بين الإنسان وبين مواردها علاقة مبنية على التوازن. ولهذا الرفق أشكالا عدة منها، الرفق الصياني، الذي يتمثل في وجوب صيانة الإنسان لمقدراته الكمية والكيفية التي عليها حُلف بعد استفادته من موردها الطبيعية واستغلالها لثرواتها، فكل خروج عن هذا المبدأ هو خروج عن تعاليم الإسلام وإفساد للطبيعة، والقرآن الكريم قد نص على ذلك في غير ما آية من آياته المحكمات، نذكر على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف/56]، ففي الآية الكريمة نهي صريح عن الإفساد في البيئة، وهي دلالة قوية على أنها من المقاصد الكبرى للشريعة السمحاء فلا يمكن لأي كان الاستهزاء بها أو التصرف في موجوداتها بإتباع المصالح الذاتية.

ويضاف إلى ذلك الرفق الاستهلاكي، حيث جاءت تعاليم الدين الإسلامي واضحة في حسن استغلال موارد الطبيعة واستغلالها الاستغلال الحسن لا إفراط ولا تفريط. إلى جانب جملة من المبادئ الخاصة بالسلوك الإنساني تجاه البيئة والآداب الإسلامية للمحافظة على البيئة، منها ما تعلق بمكونات البيئة، ومنها ما تعلق بصناعة التوازن البيئي، نلخصها في التالي:

أولا: الآداب المتعلقة بمكونات البيئة

تتمثل هذه الآداب في جملة الضوابط التي ينبغي أن يتحلى به الإنسان تجاه الطبيعة ، منها ترسيخ مفهوم صداقة البيئة، من أجل تجنب أهم المشكلات التي تتعرض لها البيئة على المستوى العالمي وعلى المستوى العربي خصوصا كالتلوث بكل أشكاله والنتائج عن مخلفات الصناعة، المركبات، التكنولوجيا

²¹ -النجار عبد المجيد عمر، (2012) البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة، ضمن كتاب: أعمال الملتقى الدول: الحفاظ على البيئة في الإسلام وفي الدراسات العلمية المعاصرة ، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر ص 84.

الزراعية التي تنتج آثارا سامة بفضل المبيدات التي ترشها الطائرات، حيث تعمل على تلوين الهواء والتربة. إلى جانب اعتماد مبدأ ترشيد الاستهلاك ووأد الاستنزاف، حيث يعمل الإنسان بجوره على استنزاف ثروات الطبيعة دون مراعاة الشروط القانونية، ثم العمل على توفير مقومات التوازن البيئي، أي على الإنسان أن يحسن التوازن بين حاجاته وبين مقومات الطبيعة، فلا ينبغي له الإخلال بها من أجل تحقيق توازن بيئي من شأنه أن يسهم في تحقيق الاستدامة ويحافظ على بقائها، زيادة على ذلك هناك مبدأ آخر يتعلق بالسلوك الحمائي للبيئة وهذا نظرا لما تتعرض له من انتهاكات وأساليب غير إنسانية في التعامل معها، حيث ينبغي انتهاج سياسة تحمها خاصة من الناحية الأخلاقية والقانونية، وذلك بإنشاء مجالس ولجان وجمعيات بيئية مختصة يكون لها الدور الفعال في تطبيق القوانين الصارمة، والحث على المبادئ الأخلاقية اللازمة التي ينبغي على الجميع إتباعها بدلا من اللامبالاة المنتهجة من قبلهم. والجدير بالذكر، إن هذه المبادئ لا يمكن أن تكون نهائية ما لم تكن هناك مرجعية تربوية وثقافية تؤطر التعامل مع البيئة.²²

ثانيا: الضوابط المتعلقة بصيانة التوازن البيئي

مما لا مشاحنة فيه، إن الشريعة الإسلامية لم تُهمل أحدا من الموجودات بتفضيل البعض دون الأخرى ولم تكن خاصة بالإنسان لوحده؛ وإنما جاءت شاملة لكل ما هو موجود في الكون، لذلك نجدنا نصت على ضرورة تحقيق التوازن البيئي الحيوي الذي ينشده العالم اليوم في كل أقطاره ويعد من أجل ذلك الندوات ويهدر الأموال في برامج الحماية وغيرها، فإفساد الإنسان المتواصل هو الذي يجعل من مبادئ الشريعة حاضرة في كل زمان ومكان من أجل تحقيق الاتزان. ومن المجالات التي تسعى لتحقيق التوازن فيها وهي مطلب عالمي اليوم لا أحد يشك في ذلك نجد الضوء كأحد أهم الاهتمامات المتزايدة، إلى جانب الحرارة، اللون.

وعليه، فإن من أهم المشكلات العوائق والتحديات التي تقف في سبيل تحقيق تلك المبادئ السالفة الذكر خروج البشر عن النهج الإلهي وما أقرته الشريعة، فيحدث اضطراب يمس توازن البيئة بموجوداتها المختلفة، فإنسان اليوم يلهث جريا وراء التكنولوجيا المتطورة والتي تسبب الدمار البيئي بفعل المصالح الذاتية التي لا تراعي حرمة البيئة، ثم إن عدم الوعي بمخاطر استعمال المبيدات ودرجاتها المحدودة قد يؤدي إلى القضاء على البيئة فتتعطل الحياة نهائيا، وليس أدل على ما نعيشه اليوم في واقعنا. ولأجل بيئة

²² -الأحمدي محمد بن عليّة(2006)، دور علم النفس في تعديل الاتجاهات نحو البيئة، المؤتمر العلمي الثالث لكلية العلوم الاجتماعية،

جامعة الكويت، ص13.

سليمة نتجنب فيها كل ما يؤدي إلى الإخلال بنظامها، أقر الدين الإسلامي جملة من القيم التي يمكن اعتبارها بديلا كافيا لهذه المشكلات، وهو ما سنتطرق إليه في العنصر الموالي²³.

3-آليات حماية البيئة وسبل الوقاية:

يتعلق الأمر في هذا المقام بجملة القيم التي أقرها الإسلام من شأنها أن تسهم في المحافظة على البيئة ونظامها بغية تحقيق توازن بينها وبين الإنسان، ومن جملة هذه القيم ما يلي:

3-1مبدأ الاستخلاف والتربية الإيمانية:

إن الإنسان هو المخلوق الذي استخلف في الأرض من أجل عبادة الخالق وهو تكريم إلهي لهذا المخلوق حيث جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُسِفُّكُمُ الرِّمَاءَ وَتَحْنُ نُسِجُجٌ بَحْمَدِكَ وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالِ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/30]. وإذا كان هذا هو حال الإنسان فإن هذا التكريم يحمل في طياته المسؤولية المطلقة في تعامله مع المحيط الذي يعيش فيه، فلا ينبغي له أن يفسد أو يتعالى عليها، إذ من الواجب عليه التزام الاعتدال وحسن التصرف في ثرواتها، أي أن مبدأ الاستخلاف الرباني قائم على منظومة القيم العقدية والأخلاقية بوصفها رافدا لمنهج التعامل مع البيئة. وغني عن البيان أن هذه القيم سيكون لها الدور الإيجابي في إنشاء جيل متحضر يحترم البيئة دون أن يلزمه أحد في ذلك، أي يكون مبدؤه الأساس القيم الإيمانية التي غُرست في نفسه منذ صباه، ذلك أن الركيزة الأساسية لتكوين منهج حماية للبيئة هو الإيمان والانقياد لأوامر الله سبحانه وتعالى، والعمل بشريعته، والإيمان بأن البيئة من مخلوقاته فلا يتحقق التوحيد إلا بتحقيق هذا الاعتراف، لذا فكل تفكير خارج هذه القوانين الإلهية هو تمرد وخروج عن الطاعة.²⁴ زيادة على مطلب الجانب الوجداني الذي يحققه هذا المبدأ، فإنه يجسد الرقابة الذاتية وهي الأهم في مثل هذه القضايا « فقد ارتبطت قضية البيئة في الفكر الإسلامي بالعقيدة وأن الإنسان مستخلف في البيئة، وعليه أن يتعامل معها بمقتضى كتاب الله وأحكام الشريعة الإسلامية، أي تتكون لديه اتجاهات وقيم تؤدي إلى نمو الخلق البيئي، فيلتزم بما أمر الله به، ويتجنب ما نهى الله عنه، بحيث يصبح ذلك قيما وسلوكا، توجه حياته وحياة غيره فلا تُلوثُ البيئة ولا تُستنزف مواردها».²⁵

²³ - بن دغيم السبيعي علي بن مثير (2019)، التأصيل الإسلامي للتربية البيئية، مجلة البحث العلمي في التربية ، العدد20، ج14، ص156.

²⁴ - بدوي محمود الشيخ (2000)، قضايا البيئة من منظور إسلامي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر، ص 178.

²⁵ -الجميل محمد السيد(1421هـ) ، بحث بعنوان: التربية الإسلامية ودورها في تنمية الجوانب الاجتماعية نحو غرس مفاهيم التنمية المستدامة من منظور إسلامي ، المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي، جدة، السعودية، ص 122.

يبدو من خلال ما سبق، إن الإسلام يدعو الإنسان إلى إعمار الأرض والتزام الممارسات الخلاقية في التعامل مع البيئة، قال تعالى في هذا الشأن: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/110]. أي أن الالتزام في الأرض هو شرط للنجاة في الآخرة.

2-3 مبدأ الطهارة ومنع التلوث:

مما لا شك فيه إن الإسلام في تعاليمه يُلح على ضرورة التزام الطهارة ومنع التلوث بكل أشكاله من أجل بيئة نظيفة ومتوازنة؛ وهي قيم إنسانية عالمية لم تحض بالاهتمام في عالمنا المعاصر. جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ الَّذِي كَانُوا بِغِيثٍ وَمِنَ الَّذِينَ يَدْعُونَ أَنَّمَا رَبُّنَا إِلَهُ لَّكُمُ الشُّكْرُ الَّذِي كُنْتُمْ تُشْكُرُونَ ﴾ [المائدة/6]. يتضح من خلال هذه الآية الكريمة النص الصريح للإسلام على النظافة والإعلاء من شأنها.

3-3 مبدأ الإحسان:

أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بالإحسان بمفهومه الواسع، الذي يتحدد في الرفق بكل الكائنات الموجودة في الطبيعة وعدم الإساءة إليها سواء كانت حيوانات أو نباتات، فقد جعلت تعاليم الإسلام علاقة الإنسان بالبيئة علاقة مبنية على الاحترام والشفقة والإحسان، فعليه الرفق بالحيوان ومعاملته في حدود ما نص عليه الشرع دون تجاوزه، فالمسلم مأمور بأن لا يقطع شجرا وألا يخرب أو يحرق حيوانا كالنحل مثلا. فالشريعة الإسلامية تميزت بغنى مصادر التشريع وقواعد السلوك العامة، التي تفرض الإحسان إلى البيئة، من خلال المحافظة على خيراتها واستغلالها بما يوافق مبادئ الشرع²⁶.

4-3 مبدأ الاعتدال والترشيد:

لئن كانت الشريعة تحث على الإحسان إلى البيئة والمحافظة على مواردها، فإنها من جهة أخرى ولتحقيق ذلك قد نهت بأدلتها على ذم الإسراف واعتبرته من أفعال الشيطان التي ينبغي على الإنسان الابتعاد عنها وهجرها وإلا وقع في دائرة المحظورات، ذلك أن الإسراف وعدم الاعتدال في الممارسات البيئية من طرف الإنسان يعد من القيم السلبية التي تؤدي بدورها إلى الخلل في نظام الطبيعة، على غرار الصيد العشوائي وعدم احترام مواسمه الشرعية، وهذه القيم تختص بتوجيه سلوك الأفراد نحو الاستغلال الجيد وغير المسيء لمكونات البيئة، وتتضمن عدم الإسراف وعدم التبذير، والابتعاد التام عن الترف والاستغلال البشع²⁷.

وبناء عليه، فإننا نجد إن الإسلام يقدم تصورا متكاملًا من شأنه أن يخدم البيئة ويحافظ على معالمها بما يفرضه من قيم ومبادئ قوامها ترشيد الاستهلاك واتباع ثقافة بيئية منظمة.

²⁶ - بن مثير علي، المرجع السابق، ص159.

²⁷ - مشعان ربيع عادل (1430هـ) التوعية البيئية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن. ص75.

خاتمة:

على سبيل الختم، يمكن القول إن البيئة حظيت بمكانة هامة في سياق الفكر الإسلامي بصفة خاصة على غرار ما لقيت من اهتمام في الحضارات الأخرى، ويبدو أن اهتمام فلاسفة الإسلام ومفكروه بمعالجة قضية البيئة وما طرحه من مشكلات راهنة والعمل على ضبط تعامل الإنسان معها وفقا لمعايير وضوابط أخلاقية لا يُعد اهتماما عرضيا بل هو اهتمام يستمد مسوغات مشروعيته العلمية من القضايا التي لها صلة بالواقع، بالإضافة إلى أنه ينبع من عمق القضايا ذات الصلة بالفكر العقدي، والمقاصدي في حفظ الإنسان ورعاية مصالحه، كما تنجم رؤاهم وأفكارهم من الرؤية الشمولية للمشكلة البيئية التي لا يقتصر مفهومها على الجانب المادي فقط، بل يتعداه إلى الجوانب الروحية، ذلك أن البيئة بما هي موطن الإنسان والحاضن الرسي له هي أمانة لدى الإنسان وتوارثها الأجيال.

وما يمكن استخلاصه أيضا من خلال بحثنا هذا، هو أن المشكلات الكبيرة التي تتعرض لها البيئة مردها الأول الإنسان الذي لم يلتزم بأدبيات وأخلاقيات التعامل معها، فلم يحسن استغلالها بالقدر الذي أمرته به الشريعة الإسلامية، وغلبت عليه الأطماع الذاتية في مقابل الأبعاد الثقافية والتربوية والإنسانية. والجدير بالذكر، إذا كانت البيئة قد سُخرت للإنسان من أجل استغلالها والاستمتاع بثرواتها، فإنه لا ينبغي أن يُفهم ذلك التملك المطلق واللاعقلاني لها، بل ينبغي عليه احترام حدوده، والعمل على إقامة علاقة خلاقة بينه وبينها. لذا فما نود التأكيد عليه جراء ذلك، هو ضرورة الأخذ بالتصور الإسلامي للبيئة والعمل على تعميمه ليشمل النظم البيئية العالمية لكونه يتميز بالكونية، ويمنح لكل ذي حق حقه، مبدؤه الأساس لا ضرر ولا ضرار.

وإلى جانب ذلك يمكن القول أيضا، إن المحافظة على البيئة وتحقيق التنمية المستدامة هو مطلب أخلاقي بالدرجة الأولى، فلا القوانين ولا التشريعات بقادرة على تأصيله ما لم يكون هناك دافع أخلاقي صادر عن الإنسان بحد ذاته، يهدف من خلاله إلى تحقيق التناغم بينه وبين الطبيعة. ثم إنه يمكن من جهة أخرى التأكيد على قيمة أخلاقيات البيئة، يتعامل بها الأفراد مع بيئتهم من أجل الاستغلال الأمثل والأحسن لمواردها، وهي المسألة التي نجد لها حضورا قويا في التراث الفكري الإسلامي من خلال اهتمام المفكرين المسلمين بها نظريا وتطبيقيا.

وحاصل القول، إن الفكر الإسلامي قدم لنا رؤية متكاملة تصلح للتعامل مع قضايا البيئة ومشكلاتها وتشتمل هذه الرؤية على تصورات عقائدية وأحكام فقهية وآداب أخلاقية تجعل الإنسان مطالبا وقادرا على التعامل الأمثل والسليم مع البيئة بمفهومها الشامل، والتعاون مع غيره من أجل تحقيق الانسجام وتجنب الإفساد فيها، والسعي بكل جهوده إلى إصلاحها إن اقتضى الأمر ذلك، وهذا ما يجعل من هذا الفكر المبني على تعاليم الدين الإسلامي صالح لكل زمان ومكان.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. إبراهيم أوزدمير (2008) البيئة في الإسلام، ط1، بلنسية للنشر والتوزيع، مصر.
2. ابن سينا (1999) القانون في الطب، ج1، تحقيق محمد أمين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
3. ابن منظور (1997)، لسان العرب، ج3، دار النشر، بيروت، لبنان، ط1.
4. أبو القاسم إسماعيل بن عباد الصاحب (1994)، المحيط في اللغة، ج10، ط1، عالم الكتب، بيروت.
5. الأحمد محمد بن علي (2006)، دور علم النفس في تعديل الاتجاهات نحو البيئة، المؤتمر العلمي الثالث لكلية العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت.
6. -النجار عبد المجيد عمر، (2012) البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة، ضمن كتاب: أعمال الملتقى الدول: الحفاظ على البيئة في الإسلام وفي الدراسات العلمية المعاصرة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر.
7. بدوي محمود الشيخ (2000)، قضايا البيئة من منظور إسلامي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر.
8. بن جيلالي محمد أمين (2021)، الإتيقا: نقد المفهوم وتحولاته في العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية، ط1، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، النجف، العراق.
9. بن دغيم السبيعي علي بن مثير (2019)، التأصيل الإسلامي للتربية البيئية، مجلة البحث العلمي في التربية، العدد20، ج14.
10. بن دوبة شريف الدين، الأخلاق التطبيقية في الفقه الإسلامي المعاصر: قراءة فلسفية للمذهب المالكي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2 محمد بن أحمد، 2018.
11. الجميل محمد السيد (1421هـ)، بحث بعنوان: التربية الإسلامية ودورها في تنمية الجوانب الاجتماعية نحو غرس مفاهيم التنمية المستدامة من منظور إسلامي، المنتدى العالمي الأول للبيئة من منظور إسلامي، جدة، السعودية.
12. سرتاوي فؤاد عبد اللطيف (1999) البيئة والبعد الإسلامي، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان.
13. صليبا جميل (1982)، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
14. العاطي الخضراوي إمام عبد (2020) أخلاقيات البيئة في التفكير الإسلامي، المجلة العلمية لكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالبحر، جامعة الأزهر، المجلد التاسع والثلاثون، ديسمبر.
15. عبد الكافي إسماعيل عبد الفتاح (1428هـ)، المفاهيم والمصطلحات البيئية، دار الثقافة للنشر، القاهرة.
16. عبد المنعم عباس رواية (2013)، رسالة من الفلسفة إلى الحياة، ط1، دار الوفاء، القاهرة.
17. عمر بوقناس، الأخلاقيات التطبيقية، مساهمة في تجديد الفلسفة العربية، ضمن كتاب، رهانات الفلسفة العربية المعاصرة، تنسيق محمد المصباحي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ط1، 2010.
18. قاضي جورج (2006)، تهديدات البيئة، ط1، منشورات عويدات، بيروت.
19. الكندي أبي يوسف بن إسحاق (1953)، رسائل الكندي، ج2، تحقيق ونشر عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة.
20. لالاند أندريه (2001)، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت.

21. مخلف عارف صالح (2007)، الإدارة البيئية- الحماية الإدارية للبيئة، دار البارودي العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
 22. مشعان ربيع عادل (1430هـ) التوعية البيئية، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
 23. المعجم الوسيط(1976)، الجزء 1، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة.
- Robin Attfield(2007),éthique de l'environnement et développement durable, in éthiques de l'environnement et politique internationale, France : éditions Unesco, collection éthiques.
- Maryanne Horowitz(2005), new dictionary of the history of ideas, thomson, gale